مقدمــــــــــة

د. أسعد عبدالرحمن

نجحت السيدة روضة الفرخ الهدهد ، بانتاجها المتتابع ، في ايجاد الموقع اللائق بها على خريطة عالم الأطفال . لقد استطاعت السيدة الهدهد في وقت نسبي قصير ، تجذير وجودها في مجال خدمة قضية تنمية وعي ولغة فلذات أكبادنا التي تمشي على الأرض . وما قصة " صراع في الغابة " سوى وردة جديدة في حديقة نبت فيها الكثير في الماضي وسينبت - باذن الله وبهمة السيدة الهدهد - ما هو أكثر في المستقبل .

أما قصة " صراع في الغابة " فهي مثال على الصياغة اللغوية السلسة والنسج القصصي الممتع ، والحبك الفني المتلاحق الاثارة . لقد نجحت القصة ، ايّما نجاح ، في عرض فكرة عبثية التمرد الفردي العفوي ، وفي تبيان جدوى فكرة التمرد المنظم ونجاحه النسبي في تحقيق الاهداف وبخاصة عندما يتسلح بأسلحة التضامن والتدريب والسرية ودقة الاتصالات والتحركات . كما أن القصة نجحت في توجيه الضربات اللازمة لفكرة التجسس ، وتسديد اللكمات القوية لفكرة الخيانة موضحة النهاية الطبيعية لكل خائن . ولكن ؟!

ترى هل نجحت الكاتبة في رسم النهاية المنطقية لملك الغابة - الظالم والمصلحي والامّعة الذي يحركه الخنزير كما يشاء ؟ وهل نجحت المؤلفة في وضع النهاية المناسبة (سواء كانت اقتلاعا أو توبة) لذلك الملك الظالم والمصلحي المشجع للجواسيس من حوله ؟ وهل أرادت لنا الكاتبة أن نعيش - ومعنا أطفالنا - في هذه الواقعية الجارحة عندما بقي الملك /الظالم /المصلحي الساذج في مواقعه الفكرية والسلطوية مستمرءا طعم نواقصه ومصرا عليها ؟ ثم هل فكرة الاتصال بالقوى الخارجية طلبا للعون فكرة مستحبة وبخاصة وأن هوية هذه القوى غير موضحة لنا ؟ وأخيرا ، لماذا وكيف غضّ الملك /الظالم /المصلحي الساذج النظر عن لجوء مواطنيه الى الاستعانة بقوى خارجية وتركهم - وهو الظالم المقتدر - دون مساءلة ؟

ان مشروعية هذه الأسئلة ستتقرر على أيدي قارئي القصة . وهي - على أية حال - أسئلة معبرة عن وجهة نظري بوصفي أحد القارئين الذين ما فتئوا يتمنون للقاصة المجتهدة السيدة روضة الفرخ الهدهد اضطراد التوفيق والتفوق .

١٩٨٧

حكايات للاطفال

صراع في الغابة

تاليف: روضة الفرخ الهدهد
رسوم: عبد الفتاح ناجي

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلَ الخنزيرُ الضخمُ الى الغابةِ، كان يعيشُ في مكانٍ يطلُّ على هذهِ الغابةِ. . وكانَ ينظرُ الى السماء فيراها أكثرَ زرقةً، والى الأرضِ فيراها اكثرَ خضرةً، والى الماءِ فيراهُ عذباً زلالاً كل شيء في هذه الغابةِ أروع. . الأكلُ وفيرٌ والنومُ مريحٌ والطقسُ بديعٌ. . .

وصلَ الخنزيرُ الضخمُ واستقبلَهُ اهلُ الغابةِ بفتورٍ عادي، فلا الدبُّ امتعضَ، ولا الحصانُ صهلَ، ولا الثورُ رفَسَ، ولا الطيورُ هاجت، ولا الدجاجاتُ ماجت، حتى الحمارُ ظل ساكتاً يراقِبُ ولا يفكرُ. ولكنَّ الأسدَ أرسلَ في طلبِهِ حالاً، وسألَهُ عن سببِ مجيئِه، وعن ولائِهِ، فأجابَ الخنزيرُ أنّه يودُّ العيشَ في هذه الغابةِ. لمّا سمعَهُ عن عَدلِ مليكِها؛ وأمنِ أرضِها؛ وأنّه لا يدينُ بالولاءِ الا للأسدِ العظيم، وها هو الدليل. . . وقدّم الدليل على ولائه للأسد بأن أهداه مجموعةَ كلابٍ ضخمةٍ!!

وابتدأت الخنازير الأخرى تَرِدُ الغابةَ تباعاً لعلَّةٍ أرسلَ في طلبها واحدةً بعد الاخرى. كانت الخنازيرُ ترِدُ الغابةَ من طرفٍ خفيٍ لا يحسُّ بها أحد، ثم تتوزّعُ في أطرافِ الغابةِ تستكينُ تحتَ شجرةٍ أو قربَ صخرةٍ أو تنامُ طول النهارِ في مغارةٍ خفيةٍ ولا تخرجُ الا في الليلِ الأظلم.

وفي يومٍ من الأيامِ استيقظتِ الحماماتُ مبكرةً، وأخذت تطيرُ في سماءِ الغابةِ. . . كانت تطير أفواجاً أفواجاً وتدورُ لِتعودَ إلى مكانِ انطلاقها، ثم تعودُ لتطيرَ وتدورَ. . وفجأةً وقعَ نظرُ إحدى الحماماتِ على منظرٍ غريبٍ عجيبٍ لم ترَهُ من قبل. . رأت الخنازيرَ وقد اجتمعت في مكانٍ واحدٍ وقد بدا عليها الجدُّ والاهتمام!!

كانت الخنازيرُ مجتمعةً لأمرٍ هام. . فقد تصلُ اليوم أو غد دفعةٌ جديدةٌ من الخنازير، وعليهم ان يدبِّروا أمرَ مسكنِها ومأكَلِها دونَ أن يحسَّ بها أحد.

عادتِ الحماماتُ الى أوكارها، ولكن تلكَ الحمامة لم تستطع النومَ ولا الهدوء. . فلقد أقلقها منظرُ الخنازير، فعادت بهدوءٍ وعلى انفرادٍ تستطلعُ الخبر. .

وقفتِ الحمامةُ على الشجرةِ وأخذت تراقِبُ ما يجري، ولمّا رأتْ عشراتِ الخنازير تردُ من ذلكَ المكانِ وتختبىءُ في الأماكنِ المعدَّةِ لها، انطلقت مسرعةً إلى الحصانِ، وأخبرتْهُ بالأمرِ الخطيرِ. . ودونَ ترددٍ أنطلقَ الاثنان يطلبان إجتماعَ الحيوانات مع الملك. .

- ٢ -

في عرينِ الاسدِ عقدتِ الحيواناتُ اجتماعاً سريعاً مع الملك. . وكانت الحمامةُ على رأسِ المجتمعين.

قالَ الحصانُ: سيضيقُ علينا المكان. . قالَ الحمارُ: سيقلُ علينا الأكلُ. . قالَ الدبُّ: سيضايقون اولادي. . قالتِ الحمامةُ. . الماءُ لن يكفي. . الخنازيرُ تتزايدُ. . ستقوى علينا.

ولكنَّ الاسدَ أنهى الاجتماعَ بشكلٍ حاسمٍ وفوري وقال:

- لا تهتموا. . لا تخافوا. . سأحلُّ المشكلةَ حالاً. . وفكرَ قليلاً ثم قالَ بصوتٍ عالٍ وقوي:

- اعقدوا لي اجتماعاً منفرداً مع الخنزيرِ. . لأفهمَ منهُ الأمرَ. . ولن يعصيَ الخنزيرُ لي أمراً. ركَضَ الحمارُ. . وطارَ النِّسرُ عالياً ليخبرَ الخنزيرَ عن موعدِ الاجتماعِ ومكانِهِ.

جَلسَ الأسدُ في مكانِهِ، ودخلَ الخنزيرُ وضُربَتِ الحراسةُ على المنطقةِ بأسرها. . فلا أحدَ يقتربُ ولا أحدَ يستمعُ، انقضت ساعةٌ وساعتان، والحصانُ والدبُّ والنسرُ وحتى الحمار واقفون بالبابِ ينتظرونَ نتيجةَ الاجتماع!!

وبعدَ مدةٍ خرجَ الأسدُ ليعلِنَ عن اتفاقِهِ مع الخنزيرِ، قال:

- لقد تفهمت المشكلة كلها. . وطلبتُ مِنَ الخنزيرِ الاّ يضايقَكم أبداً. . ومنعاً للإزعاج سأفرِدُ له قطعةً من الأرضِ يرتَعُ فيها فلا يضايقكم ولا تضايقونه. . وقد طلبتُ منه أيضاً أن لا يحضر مزيداً من الخنازيرِ بعدَ اليومِ أبداً، وقد اتفقنا على ذلك. .

وعلا صوتُ الحيواناتِ بالرضى والحبور. . . فصفقَتِ الحماماتُ بأجنحتِها. . . وصهَلَ الحصانُ صهيلاً عالياً. . . ونَهقَ الحمارُ فتردَّدَ نهيقُهُ في أرجاءِ الغابةِ. . وضَربَ الدبُّ الأرضَ بقدميهِ فرحاً بموقِفِ ملكِ الغابةِ وعظيمِها. .

ولكنَّ الأسدَ أشارَ إلى الحيواناتِ بالسُّكوتِ وقالَ:

- ولكنَّنا اتفقنا أيضاً على موضوعٍ بسيطٍ آخر، وهو ريشُ الحمامةِ!! . .

ونظَرَ الأسدُ إلى الحمامةِ نظرةً أرعدَت فرائصها، وأهتزّها ريشُها، والتفتَتْ فرأتِ الخنزيرَ ينظُرُ إليها هو الآخرُ نظرةً أزعجتها، بل أخافتها. . فطارت من مكانِها ثمَّ عادت فحطّت، وهي تقولُ في نفسها. . وماذا في ريشي حتى يدخُلَ محضَرَ إجتماعِ الأسدِ والخنزير؟ ما لهم وريشي. . ماذا سيفعلون به يا ترى؟؟. .

قال الأسد مستطرداً:

- نعم، ريشُ الحمامةِ، يضايقُنا نحنُ معشرَ سكانِ الغابةِ. . تطيرُ به عالياً في الصباح الباكر، فتزعجنا في منامِنا وصحونا وتكشف. .

أسرارنا. . وقد ارتأينا لمصلحتِكُم جميعاً. . سكانَ

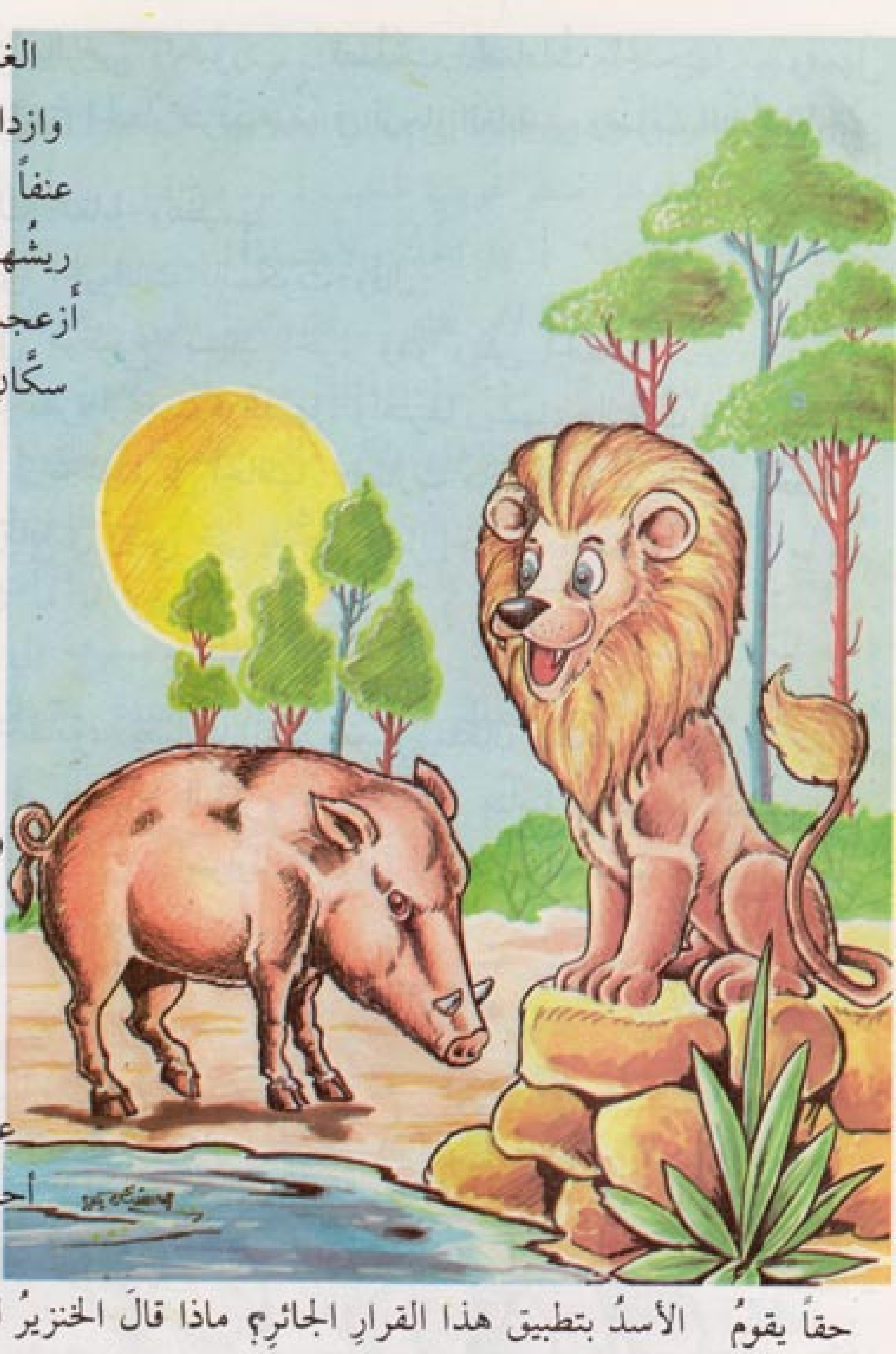

الغابةِ.. أن ننتِفَ ريشها..
وازدادت دقّاتُ قلبِ الحمامةِ
عنفاً واضطراباً.. كيفَ يُنتَفُ
ريشُها؟. ماذا فعلت به؟ من
أزعجت به؟؟ولمصلحةِ مَنْ مِنْ
سكّانِ الغابةِ يُنتف؟؟ ونظرت
إلى باقي الحيواناتِ،
نظرت إلى الحماماتِ
رفيقاتِها، نظَرت إلى
الحصانِ والنَّسرِ والدبِّ
والحمارِ.. كانت كأنَّها
تطلبُ منهم النجدةَ
والعون. وألتقت نظراتُ
الحيواناتِ المندهشةِ
المستغربةِ، كيف يرضونَ
بنتفِ ريشها..؟كيف يهونُ
عليهم ذلك؟ وهل يصدِّقُ
أحدٌ أنَّهُ لمصلحةِ سكانِ الغابةِ
حقاً يقومُ الأسدُ بتطبيقِ هذا القرارِ الجائرِ؟ ماذا قالَ الخنزيرُ ليقنعَ عظيمَ الغابةِ بالحُكمِ على الحمامةِ المسكينةِ؟..

صَهَلَ الحصانُ وحاولَ أنْ يتكلَّمَ، أنْ يعترِضَ، ولكنَّ الأسدَ أشارَ بيدِهِ معُلناً انتهاءَ الاجتماعِ، وفضَّ الجلسةِ، مشيراً الى حُرّاسِهِ الكلابِ لتنفيذِ القرار!!..

- ٣ -

وبعيداً عن عرينِ الأسدِ اجتمعَ الحصانُ مع رفاقِهِ للتشاوُرِ، قالَ الحصان:

- لا نرضى.. لا نقبل.. كيفَ نقبلُ؟.. كيف نرضى ان تخسرَ الحمامةُ ريشها؟.. ولمصلحةِ من؟.. وهل هذا هو جزاؤها لأنَّها نبّهتنا للخطر؟.. لا بدَّ أن نرفض..

وبهدوءٍ ورويةٍ كانَ الحمارُ يفكِّرُ.. وكانت أذناهُ ترتفعانِ وتنخفضانِ وهو يُفكِّرُ.. ثم حكَّ

رأسَهُ وقال:

- ولكنْ يا صديقي، ألا ترى أنَّهُ في سبيلِ الجماعةِ يضحّي الفردُ؟.. اذا ضحَّتِ الحمامةُ بريشِها اليوم ضمنّا المستقبلَ.. فلا خنازيرَ جديدةً تَرِدُ أرضنا، ولا نقصَ في الطعامِ ولا في الشَّرابِ.. ألا ترى القيودَ التي فُرِضت على الخنزيرِ بسببِها؟.. نعم التضحيةُ واجبةٌ.. وعلى الحمامةِ أن تُضحّي في سَبيلِ سعادةِ الجَميعِ.

قالَ الدبُّ:

هذا قرارٌ جائرٌ ظالِمٌ فَرَضَهُ الأسد.. وأنا لا أوافق عليه.

وبينما كانتِ الحيواناتُ تتكلَّمُ، كانَ الكلبُ يختزنُ في عقلِهِ ما يُقال.. وهنا قالَ في سرِّه:

- ما هذا الكلامُ أيُّها الدبُّ العزيزُ؟! الأسدُ ظالِمٌ وقرارُهُ جائرٌ!

واستطردَ الدبُّ قائلاً:

- وكيفَ ستدبِّرُ الحمامةُ طعامَها وشرابَها، وتربيةَ أطفالِها؟..

قالَ الحمارُ بسرعةٍ:

- نحنُ نحضرُ لها الأكلَ، وبعدَ قليلٍ ينمو الصغارُ وينمو ريشُهم. إنَّها التضحيَةُ يا عزيزي.. التضحيةُ ألا تفهمها؟..

لَمْ تصلِ الحيواناتُ إلى قرارٍ يجمعُ عليه الجميع، وانفضَّ الاجتماعُ وقامَ الكلبُ من فورِهِ وأطبَقَ على الحمامةِ ينتزِعُ ريشَها الأبيضَ الجميلَ..

ومَعَ حسراتِ الحصانِ ورَفضِ الدبِّ وسرورِ الحمارِ، نزلَتْ دموع الحمامةِ ساخنةً حارةً

على وجهها حزناً على ريشِها الضائعِ..

ومضتِ الأيامُ ونسيَ الجميعُ مشكلةَ الحمامةِ،كانَ الدبُّ أكثرَ الحيواناتِ وفاءً لها.. فكانَ يُحضِرُ لها الطعامَ والشرابَ، ويسردُ عليها قصصَ الغابةِ، وكانت أجملُ القِصصِ وأمتعها، قصَّةَ الحمارِ.

فقد كانَ الحمارُ في مكانٍ آخرٍ.. مكانٍ لم يعهدْهُ من قبلُ.. ولَمْ يحلُمْ به من قبلُ.. مكانٍ رفيعِ المستوى.. أنساهُ أمرَ الحمامةِ والخنزيرِ، وأمرَ بياناتِهِ الحماسيةِ السابقةِ بالوقوفِ مع الحمامةِ في محنتها.. لقدْ كانَ الحمارُ في ضيافةِ الأسدِ.. يستمتِعُ بالشَّمسِ والهواءِ، ويتفعفلُ بالتُّرابِ وقتما يشاء.. الأكلُ وفيرٌ، والماءُ نميرٌ.. والكِلابُ تحييِّهِ صباحَ مساء..

فلقد أنعمَ الأسدُ عليهِ بلقب "الحمارِ المفكِّر"!..

- ٤ -

وفي يوم منَ الأيامِ، وبينما الدبُّ يتجَولُ في الغَابةِ، إذْ بِهِ يرى أمراً غريباً، رأى كلاباً صغيرةً سوداءَ ذاتَ أسنانٍ حادةٍ، تتبَعُ الخنزيرَ أينما تحرَّكَ.. تنظُرُ بأعيُنها الثاقبةِ يميناً ويساراً. فَزِعَ الدبُّ لِمَا رأى، وأوجَسَ منَ الأمرِ خيفةً، فركَضَ إلى اصدقائِهِ يخبرُهم ويستطلعُ رأيهم، قالَ الدبُّ:

- يا جماعة.. لم يعُدِ الأمرُ سهلاً، كانَ الخنزيرُ خنزيراً واحداً فأصبح خنازير، كانَ مسكيناً فأصبح قوياً.. يمشي وحولهُ الكلابُ الصغيرةُ لحمايتِهِ. وأنا أرى أن نبطِش بِهِ وبكلابِهِ اليومِ.. وحالاً..

نَظَرَ الدبُّ إلى مخالبِهِ القويةِ.. ورفَعَ يديهِ وقدميهِ في الهواءِ، ثم كشَّرَ عن أنيابِهِ وأسنانِهِ.

قالَ الحصانُ وهو يصهَلُ صهيلاً عالياً، ويرفُسُ الترابَ بقدميهِ الخلفيتينِ، ثم يرفَعُ أقدامَهُ الأماميةَ عالياً:

- نعم.. نبطِشُ به اليومَ..

ونَظَرَ الحمارُ إلى أسنانِ الدبِّ ومخالبِهِ، والى أقدام الحصانِ وحوافرِهِ، فأُعجِبَ بها أيما

إعجاب، ثم نَظَرَ إلى أجنحةِ النسرِ، فسرّ بها وأخَذَ ينهَقُ نهيقاً عالياً وهو يرفسُ بأقدامِهِ رفساتٍ قويةٍ عنيفةٍ. ولكنَّهُ توقَّفَ فجأةً وتسمَّرَ في مكانِهِ.. وأخذت أذناهُ تتحرَّكانِ في عصبيةٍ ثمَّ حكَّ رأسَهُ وقال:

ـ لقد فكّرتُ.. وأنا الحمارُ المفكِّرُ.. فكّرتُ يا أصدقائي أن قرارنا سليمٌ وأنَّ علينا فعلاً أن نقضي على الخنزيرِ، ولكنّي أرى وأقترحُ أن نذهبَ إلى الأسدِ أولاً نخبرُهُ بعزمِنا وقرارِنا، فلعَلَّ عندَهُ الرأيَ الأفضل.

قالَ الكلبُ وقد سرَّهُ كلامُ الحمارِ..

ـ نِعْمَ الرأيُ رأيُكَ يا صديقي.. نَعْم نذهبُ الى الأسدِ حالاً..

وبينَ اعتراضِ الدبِّ وامتعاضِ الحصانِ، وتحتَ تأثيرِ إلحاح الحمارِ، أنطلقَ الجميعُ، مَعَ النسرِ إلى عرينِ الأسدِ..

نَظَرَ الأسدُ ملياً في وجوهِ الحُضورِ ثمَّ قالَ:

ـ أنا أحلُّها.. أرسلوا إلى الخنزيرِ، وأخبروه أنني أُريده في اجتماعٍ هامٍ وعلى الفورِ..

ـ ٥ ـ

وأنطلقَ النسرُ يخبرُ الخنزيرَ بموْعِدِ الاجتماع ومكانِه وفُرِضَتِ الحراسةُ على المكانِ، وانتظرتِ الحيواناتُ ببابِ العرينِ، ساعةً ثمَّ أخرى، ثمَّ أخرى.. كانَ الاجتماعُ على انفرادٍ.. ولمْ يُسمَح لأحدٍ بدخولِ العرينِ اللَّهمَّ الا الكلب.. فوقَفَ الجميعُ ينتظِرون بفارغِ الصَّبرِ.

بعدَ مدّةٍ خرَجَ الأسدُ وكبيرُ الخنازيرِ.. كانَ الارتياحُ بادياً على وجهيهما.. حيَّا الأسدُ

قطيعَ الحيواناتِ وقالَ:

- أبشروا معشرَ أبناءِ هذهِ الغابه، فلقد كانَ إجتماعي مثمراً ومفيداً لكم جميعاً.. وها أنا أرعى مصالِحَكُم وأحقنُ دماءَكُم جميعاً.. لقد اتفقتُ مع كبيرِ الخنازيرِ على عدمِ التعرُّضِ لكم إطلاقاً.. وسيمنعُ كلابَهُ الصغيرةَ هذه مِنَ التجولِ بينَكم، ولن تروها بعدَ اليومِ أبداً، فهي فقط لحمايةِ نسائِهِ وأطفالِهِ..إنه ضعيفٌ، أحسَّ بقوَّتِكم فأرادَ الدفاعَ عن نفسِهِ.. أنتم تخيفُونَهُ وترعبونَه!

وَنَظَرَ الأسدُ إلى الدبِّ نظرةً قويةً عميقةً.. ونَظَرَ إلى أسنانِهِ ومخالبِهِ وقالَ:

- أنتم على حقٍّ بالتخوّفِ من كلابِهِ، وهو سيحصُرُها في مكانِها قربَ بيتِهِ وأطفالِهِ، ولكنكُم أنتم السَّببُ في ذلك، أنتم الذين أخفتموه..

وقبلَ أن ينهي حديثَهُ قامت عاصفةٌ من التصفيقِ والهتافِ بحياتِهِ، فأشار اليهم الأسدُ بالسكوتِ وأكملَ حديثَهُ:

- أنيابُ الدبِّ هذه مثلاً.. مخالبُهُ..إنها سببُ تخوُّفِ الخنزيرِ، إنها مصدرُ ذعرِهِ، بسببِها أحضرَ كلابَه لحمايةِ نفسِهِ وأطفالِهِ، ولذلك فأنا أرى، وحتى أعيدَ الأمنَ والاستقرارَ لأرجاءِ الغابة، لا بد أن أنتزعَ أنيابَ الدبِّ ومخالبَهُ..!!

وران الصمتُ والذعرُ على الجميعِ، وألجمَت الصدمةُ ألسنتهَم، كان قراراً مفاجئاً لم يتخيلهُ أحدٌ من قبلُ. كانَ طعنةً في الصميمِ ..وفي لحظاتٍ كانَ الدبُّ يهوجُ ويموجُ، يدورُ حولَ نفسِهِ مرّاتٍ ومرّات..ثم كشَّرَ عن أنيابِهِ وقالَ:

- وما دخلُ أنيابي ومخالبي في مفاوضاتِ الأسدِ والخنزيرِ؟.. ما دخل أنيابي ومخالبي بمخاوفِ الخنزيرِ وأطفالِهِ؟.. لم أكن يوماً مصدرَ عدمَ استقرارٍ في الغابةِ. فكيفَ يكونُ علاجُ هذا الأمنِ والاستقرارِ بخلعِ أنيابي ومخالبي؟..

أما الأسدُ فلم يُرِدْ سماعَ أقوالِ الدبِّ، فدَخل عرينَهُ وأَشارَ إلى الكلابِ لتنفيذِ الأمرِ.. وعلا صوتُ الدبِّ ورفسَ الارض بأقدامِهِ، واقترب من الحصانِ يطلُبُ منه الرأيَ..

قالَ الحصانُ وقد وقفَ يحمي الدبَّ بجسدهِ: أؤيدُ الدبَّ كلَّ التأييدِ.. وأقِفُ معه بلا تردد، لا أرضى بخلعِ أنيابِهِ أو مخالبِهِ، لا أقبلُ بذلك ابداً..

وضَرَبَ الأرضَ بحوافِرِهِ وصهَلَ صهيلاً عالياً.. كانَ الحمارُ طولَ الوقتِ مطرقاً مفكراً، كانت أذناهُ تتحرَّكانِ بعصبيةٍ كبيرةٍ، تهبطان وترتفعان وهو يفكِّرُ ويفكرِ ثم قال:

- يا أخوة.. يا أصدقاء.. شعارُنا في الغابةِ الوحدةُ والترابط، ويجب على كلٍّ منا أن يقدم مصلحةَ الكلِّ على مصلحتِهِ الشخصية. وأنا أرى أنَّ الأسد محقٌ في كلامِهِ من ناحيةٍ واحدةٍ فقط.

سكت قليلاً وأخذَ ينظُرُ يمنةً ويسرةً ليرى تأثيرَ كلامِهِ على الجميعِ، ثم أكملَ وهو مضطربٌ خائفٌ:

- نعم هو محقٌّ في أننا أقوى من الخنازير.. فنحنُ حقاً أقوى منها.. نحنُ نخيفها بعددِنا وقوّتنا وتماسُكنا ثم..ألم تتهجم عليه أيُّها الدبُّ لتقتلَه هو وكلابَهُ؟

وما كادَ الحمارُ ينهي هذا الكلام، حتى ثارت ثائرةُ الدبّ، وهجَمَ عليه وعلى أذنيه اللتين كانتا تتحركان بعصبيةٍ، يريدُ أن يقضِمَهما، وأعملَ أظافرَهُ في رأسِهِ.

وثارَ الحمارُ ورفَسَ الأرض بأقدامِهِ، فأثارَ الرَملَ والحصى، واستدارَ وهو يلوي رأسَهُ من الألمِ حتى يرفسَ الدبَّ بحوافرِهِ ويبعدَ أنيابه ومخالبه عن رأسِهِ.. ولكنَّ الدبَّ أحكم قبضتَهُ على الحمارِ، وأخذَ يجرُّهُ من أذنيهِ جراً، فانطَرحَ الحمارُ أرضاً وهو يتلوّى من الألمِ.. ولكنَّهُ وما إن ثبَّتَ رأسَهُ حتى رفَعَ قدميه الأماميتين وضرَبَ الدبَّ ضربةً قويةً في منتصفِ وجهِهِ، فتراجَعَ الدبُّ إلى الوراءِ وكادَ يقَعُ على الأرضِ.

في تلكَ الأثناءِ كانت الحمامةُ الحزينةُ تقترِبُ من الحصانِ وتلحُّ عليه بأجنحتها المقصوصةِ، أن يهبَّ لينُهيَ أمرَ النزاعِ بين الدبِّ والحمارِ.. أخذت ترفرِفُ وترفرِفُ بجناحيها المنتوفين وتقول وعيونها دامعة:

- يا جماعة.. يا جماعة.. لماذا القتال.. هل نحن أعداء؟ يقفُ الخنزيرُ هناكَ فرحاً سعيداً وانتم هنا تتقاتلون؟ لماذا؟ أنت أيها الحمار أتخشى الخنزير، وتقاتلُ الدب؟وأنتَ أيُّها الدب اتّقِ اللّه.. لماذا تضربه هكذا؟ ستقضي عليه.. وأنت أيها الحصان تقفُ ولا تحرِّكُ ساكناً؟.. أين شعاراتُك وبياناتُك عن الوحدةِ والتضامنِ والأخوةِ؟

وتحركَ الحصانُ ليفضَّ النزاع.. وانشغلَ الحمارُ بتضميدِ جراحِهِ، بينما قامتِ الكلابُ مِنْ فورِها بتطبيقِ قرارِ الأسدِ بخلْعِ أنيابِ الدُّب ومخالبِهِ، وهو منهكُ القوى لا يكادُ يرفَعُ يدَه أو رجلَهُ..!!

جَلَسَ الدبُّ حزيناً بائساً.. انعزَلَ في مكانٍ قصيٍّ من الغابةِ، يتطلّعُ بحسرةٍ إلى مخالبِهِ، ويتحسّسُ بألمٍ أنيابَهُ وأسنانَهُ..

مرّتِ الأيامُ والليالي، والحمارُ يقضي فترةَ نقاهةٍ ممتعةٍ في ربوعِ الأسدِ.. كانت كلابُ الأسد تتفنَّنُ في تقديمِ ما لذَّ وطابَ له.. وتخترعُ أفضل الطرقِ لتسليتِهِ والترفيهِ عنه. أنَهُ يؤيِّدُ الأسدَ في كلِّ ما يقول، وفي كلِّ الأوقاتِ، فكيفَ لا يعوِّضُهُ الأسدُ تعويضاً مناسباً؟ بل كيفَ لا يرسِلُ لأهلِهِ باقاتِ البرسيمِ وصناديقَ التفّاحِ والراقصين والراقصاتِ والعازفين والعازفات؟

- ٦ -

وفي ليلةٍ من الليالي وبينما أصواتُ الموسيقى تصدحُ في بيتِ الحمارِ، إذ بالحصانِ يسمَعُ أصواتاً لم يستطِعْ أنْ يميزَها في بادىءِ الأمرِ.. اقتربَ نحو النافذةِ وأرهفَ السمعَ.. وإذْ بها أصواتُ مهورٍ وكأنّها تختنقُ.. هَرَعَ إلى الاسطبلِ، فرأى أحدَ ابنائِهِ وقد رَقَدَ على الأرضِ لا حَراكَ فيه، وباقي المهور تصَهلُ وهي ترى كلاباً صغيرةً سوداء العيون وحياتٍ ثلاثاً تسعى

وتقتربُ نحوها!!

في الحالِ قامت معركةٌ داميةٌ بينَ الأحصنةِ من جهةٍ، والحيّاتِ والكلابِ من جهةٍ أخرى. . وقضى الحصانُ على حيتَيْنِ منهما، وهربَتِ الكلابُ والحيةُ الثالثةُ وهي تفحُ فحيحاً عالياً.

وفي اليومِ التالي كانَ الخنزيرُ في بابِ الأسدِ يحمل جثةَ الثعبان فأرسلَ الأسدُ في طلَبِ الحصانِ على الفورِ!!

قالَ الحصان:

ـ أرسلَ الخنزيرُ ثعابينَهُ وكلابَهُ لمهاجمةِ مهوري الصغيرةِ في الاسطبل، وماتَ أحدُ المهورِ بلدغةٍ سامةٍ من أحدِها. .

قالَ الخنزيرُ:

ـ بل هو الذى هَجَم بكلِّ قوَّتِهِ على الثعابينِ المسكينةِ، فقضى على اثنينِ منها، ألا ترى؟ لقد قتلها بحوافِرِه هو ومهورُه. .

ـ المهورُ كانت في الاسطبلِ نائمةً بأمانٍ، حين هوجمت في جنُحِ الظَّلامِ. .

ـ بل كانت تتدرَّب على الرَّفسِ والركْضِ والقفزِ. . كانت تتدرَّبُ لمهاجمتنا، إنَّهُ يدرِّبها ليلَ نهار استعداداً لمهاجمتنا فكيف تتوقعُ أن نتركها؟. .

هز الأسَدُ رأسَهُ. . كانت مشكلةً عويصةً حقاً. . ثم قال:

ـ أودُ الاجتماعَ مع كلٍّ منكُما على انفراد!!

وكانت فرصةً للخنزيرِ كي يوغرَ قلبَ الأسدِ على الحصانِ سرّاً. . وأخذَ يختلِقُ القصَصَ عن لسانِهِ قال:

ـ لقد علمتُ يا سيدي الملك أنَّ هذا الحصانَ يتصِّلُ بأسدٍ آخرِ في الغابةِ، يريدُ أن يتَّفِقَ معهُ للحضورِ إلى هنا والقضاءِ عليك وعلى عرينك. . إنَّه يدعي ان أحكامَكَ جائرةٌ، ظالمةٌ. . فلقد ظلمتَ الحمامةَ بنتفِ ريشِها، والدبَّ بخلْعِ أنيابِهِ وأظافرِه. مع أنَّ عملَكَ هذا كانَ في مُنتهى الحكمةِ وحُسْنِ التصُّرفِ. . إنَّكَ تحافِظُ على الأمنِ والاستقرارِ في المنطقةِ كلهِّا، بل في العالَمِ كلِّهِ. . إنَّ عليهم أن يقدموا لك آياتِ الولاءِ والطاعة. . إنهم أقوياء أغنياء والأجدرُ بهم أنْ يحترمُوك فأنتَ القوي. . أنتَ الأقوى في الغابةِ وفي العالَمِ كلِّهِ. .

استمَعَ الأسدُ لكلامِ الخنزيرِ وأعجبهُ أيما إعجابٍ، فهو الأقوى حقاً في الغابةِ وفي العالَم. وآغتاظَ من الحصانِ أيما غيظٍ، كيف يتَصلُ بأسدٍ آخرَ في الغابةِ، وكيف يدرِّبُ

مهورَةُ على مهاجمةِ الخنزيرِ وقد أعطاهُ الأمان؟ كيف يعصي أوامِرَه ونواهيه؟..

ولكنَّ المشكلةَ لا تزالُ عويصةً، وعليه حلُّها..

وقَفَ الأسدُ في بابِ عرينِهِ، وأشارَ للحيوانات وقال:

ـ يا معشرَ الحيوانات.. قد ازدادت مشاكِلكُم، وأصبحت تؤرقُني في اللّيلِ والنَّهارِ، وإنني أريدُ للغابةِ الأمنَ والاستقرار.. وحسماً لكلِّ نزاع، فإنني آمرُ بالتعويضِ على الطرفين، عَنِ الأرواحِ التي فقداها.. وآمر حيواناتِ الغابةِ كُلَّها بالعملِ الجادِّ يوماً كاملاً، ثم يُقَسَّمُ ناتجُ العملِ إلى ثلاثةِ أقسامٍ متساويةٍ.. قسمٌ يُعطى للحصانِ تعويضاً لُمهرِهِ القتيلِ، وقسمان يعطيان للخنزيرِ تعويضاً عن ثعابينِهِ، شريطةَ أن تلتزِمَ الأطرافُ كلُّها بضبطِ النَّفسِ والامتناعِ عَنِ الاعتداءِ على الاخرين!!

ثُمَّ التفت إلى الحصانِ قائلا:

ـ وأما أنتَ أيها الحصان، فإنني احذِّرُكَ من مغبّةِ(١) أعمالِك الاستفزازيةِ، وآمرُكَ بربطِ أقدامِ مهورِكَ بالحبالِ كي لا تواصِلَ التدريبَ استعداداً لمهاجمتِنَا..

جُنَّ جنونُ الحصانِ من قولِ الأسدِ.. وهل كانَ يفكِّرُ يوماً في مهاجمتِهِ حقاً؟.

ـ ٧ ـ

في المساءِ اجتمَعَ الحمارُ والدبُّ والنسرُ والحمامُ في إسطبلِ الحصانِ، جاءوا يواسونَهُ بفقدانِ مهره.. جلست الحمامةُ تنظرُ بحزنٍ كبيرٍ إلى ريشها المنتوف، فهي لا تستطيعُ الرفرفةَ للتعبيرِ عن مشاعرِها العميقةِ مع الحصانِ.. ونظَرَ الدبُّ بحزنٍ كبيرٍ إلى مخالبِهِ

(١) مغبّة: نتيجة.

المقصوصةِ، فتَحسرَ وتحسَّسَ اسنانَهُ المخلوعةَ، فدقَّ قلبُهُ دقاً عنيفاً، فهو لا يستطيعُ تقديمَ العونِ للحصانِ في أزمتِهِ هذه.. ونظرَ الحصانُ إلى مهورِهِ الصغيرةِ وتصورَّها ملجومةً، مربوطةَ الأقدامِ بالحبالِ، فثارت ثائرتُه وقال..

ـ أمّا أقدامُ أبنائي فلن أرضى بربطِها إطلاقاً.. وأما التعويضُ الماديُّ فلا أريدُه منكم ابداً. هل يمكنُ ان أرضىَ أن يكونَ تعويضي من تعبِكُم ومن شقائِكُم؟ وأما موضوعُ الخنزير، فهذا ما أريدُ أن أحدِّثَكم به..!

وأطفأَ الحصانُ الأنوارَ.. وأغلقَ الابوابَ والشبابيكَ، وجلَسَ يهمسُ قائلاً:

ـ كانت تلك اكذوبةً كبرى صدقناها وآعتقدنا بجدواها.. فلقد اعتقَدَ الاسدُ وأقنعَنا بأنَّ قوتنا هي مصدرُ عدَمِ الأمنِ والاستقرارِ في الغابةِ. وأن الخنزيرَ ضعيفٌ يحاولُ حمايةَ نفسِهِ منا.. فكانَ ذلك الاعتقادُ بيتَ الداء ونقطةَ الضعفِ، فقد خلعَ انيابَ الدبِّ ومخالبَهُ ونتفَ ريشَ الحمامةِ، وها هو يريدُ منا مزيداً من التنازلِ، وكلّما تنازلنَا وضعفنَا، ازدادت قوةُ الخنزيرِ فما رأيكم؟!

قال الدب:

ـ الرأيُ يا صديقي بكلِّ بساطة هو القضاءُ على الخنزيرِ وجماعتِهِ قبلَ ان يستفحِلَ أمرُهُ.. لقد تأخرّنا حقاً في ذلك، ولم نستطعِ القضاءَ عليهِ وهو ضعيفٌ، واعتمدْنا على الأسدِ ليحلَّ لنا مشاكلنا، فآنظروا ماذا كانت النتيجة؟

وأشار إلى فكه وأسنانه وأقدامه ..

ـ ولكن ومع ذلك فأنا لم أفقدْ كلَّ قوايَ بعد، ولم أيأس، بل إن اليأسَ لا يحلُّ الاّ في نفوسِ الضعفاء، وكلمةُ مستحيلٍ لا توجدُ الا في قواميسِ الحمقى؛ والموت هو الأمرُ الوحيدُ الذي سيعطِّل حركتي.. لي أقدامٌ، لي عضلاتٌ، لي دماغٌ، وأستطيعُ أن اقومَ بكلِّ شيءٍ..

ورفرَفَ النسرُ بجناحيهِ بقوةٍ عنيفةٍ أثارتِ التبنَ والغبارَ في اسطبلِ الحصانِ، وركَّزَ بصَرهُ الحادَ وقال:

ـ أنا سيِّدُ المواقفِ، وبطلُ الابطالِ، أنا ملِكُ السماءِ وسلطانُ الأجواءِ، نظري ثاقبٌ ومخلبي حادٌّ، جناحي قويٌّ ومنقاري فتاكٌ.. أنا سَبعُ السِّباعِ ومحطِّمُ العظامِ، أعرفُ عدُّوي لو اختبأ خلْفَ الأشجارِ أو الأنهارِ..

وترددت جنباتُ الاسطبلِ بتصفيقِ الحيواناتِ للنّسرِ وخطابِهِ القوي.

قالَ الحصانُ مهدِّئاً:

- رويداً، رويداً يا أصدقائي، لا نريدُ أن يسمعَنا أحدٌ.

قالَ الحمارُ:

- وأنا ما زلتُ الأقوى في الغابةِ.. أنا الصبورُ، أنا الأمينُ، أنا أوفى الأوفياءِ، أحملُ لكم الذخيرةَ والماءَ والطعامَ، وأرفسُ الاعداءَ وأدوسُهم بأقدامي هذه..

ورفس الأرضَ بأقدامِهِ، فأثارَ التبنَ والغبارَ عالياً، ونهَقَ نهيقاً عالياً؛ فهبَّ الحصانُ قائلاً..

- صه.. صه.. أصمتْ.. لئلا يسمعنا أحد..

قالت الحمامةُ:

- أما أنا فعلى الرغمِ من ضعفِ جناحي، إلّا أنني أقومُ بالأعمالِ السريةِ، فأنقلُ لكم الرسائلَ والأخبارَ في كلِّ الأوقاتِ وأصعبِها...

- ٨ -

وبدونِ ابطاءٍ، ابتدأتِ الحيواناتُ بالتدريبِ على أقسى وأحدثِ الأساليب الهجوميةِ والدفاعيةِ.. كان الحصان يدرِّبُ عضلات صدرِهِ ورقبتهِ على سرعةِ الحركةِ وقوةِ الضربِ فيلوى رقبتَهُ الى اليمينِ واليسارِ عشراتِ المراتِ. ويدّربُ قوائمَهُ الأربعَ على الضربِ والرفسِ.. وكانت الأحصنةُ تقفُ خلفَهُ في صفٍ واحدٍ وتقومُ بما يقومُ به، ثم يطلبُ من اثنين منها أن يتدرّبا على مهاجمةِ بعضهما، ثمّ يُعلنُ انتهاءَ التدريبِ لذلك اليوم ومتابعتَه في اليوم التالي.

أمّا النسرُ فكانَ يدرِّبُ رفاقَهُ هو الآخرُ على سرعةِ الارتفاعِ في الأجواءِ، والانقضاضِ على الفريسةِ بسرعةٍ ودقةٍ.. وقد عينَّ اثنين من نسورِهِ القويةِ لمراقبةِ أجواءِ المنطقةِ التي يتدرَّبُ فيها الحصان ورفاقُهُ لئلا يفاجئهما أحدٌ أثناءَ التدريبِ..

أمّا الدبُ فلقد عانى الكثيرَ من فقدانِ أسلحتِهِ «أنيابِهِ ومخالبهِ»، ومَعَ ذلك فقد استطاعَ أن يدرِّبَ الدببَةَ الآخرين أفضلَ تدريب، وأن يؤمِّنَ المعداتِ والأدواتِ ولوازم المعركةِ المطلوبةِ، وأن يحرُسَها ويحافِظَ عليها.

وكانت الحمامةُ أضعفَ الحيواناتِ جميعاً، بأجنحتِها المنتوفةِ، ومَعَ ذلك فقد استطاعت التسلُّلَ إلى صفوفِ العدوِّ، ومعرفةَ أعدادِهِ التقريبيةِ، ومواقعِ حرسِهِ من كلابٍ وثعابينَ، وأوقاتِ نومِها واستيقاظِها، وأماكنِ تواجُدِها في الليلِ والنهارِ.

وأمّا الحمارُ فلقد أُعطي مسؤليةً كبيرةً، ومهمَّةً سريَّةً، فقد طُلِبَ منهُ السَّفرُ للإتصال

باصدقائِهم البعيدين، يشرَحُ لهم المشكلةَ التي وقعوا فيها والوضْعَ الذي يعيشونَهُ، والخطوةَ التي سيقومونَ بها، علَّهُ يجدُ منهم المساعدةَ والعونَ.

وفي الطريقِ وبينما الحمارُ يسيرُ ويسيرُ إلى هدفِهِ، خطَرَ في بالِهِ خاطرٌ عجيبٌ، وطرأتْ على عقلِهِ فكرةٌ غريبةٌ.. فقالَ في نفسِهِ: كيفَ نتَّصلُ بحيواناتٍ بعيدةٍ عنا، وكيفَ نقومُ بكلِّ هذه الاستعدادات الكبرى ولا يعلَمُ الأسدُ عنها شيئاً؟.. ماذا سيكونُ موقِفَهُ عندما يعلم؟! أليسَ الأسدُ ملكَ الغابةِ وعظيمَها؟. ألا يكونُ عملُنا هذا خيانةً عظمى له؟. بل للغابةِ بأسرِها؟..

ولكنَّهُ عادَ فجأةً فاستدرَكَ قائلاً: ولكنْ! أينَ كانَ هذا العظيمُ عندما قضَتِ الثعابينُ على مُهْرِ الحصانِ؟ لماذا تَرَكَ الخنازيرَ تقوى وتزدادُ أعدادُها يوماً بعدَ يوم؟ لماذا يُدافعُ عنها؟. كيفَ يقتنِعُ بآراءِ الخنزيرِ ويقفُ مَعَهُ كلَّ مرَّةٍ؟. وهل صحيحٌ أنَّهُ حريصٌ على أمنِ وآستقرارِ الغابةِ؟ وهل صحيحٌ أننا أقوى منهُ ومِنَ الخنزيرِ وأنَّهُ يخافُ منا حقّاً؟!.

وَقَفَ الحمارُ مفكراً، أطرقَ ينظُرُ للأرضِ بينما ابتدأت أُذناهُ تتحرَّكانِ بعصبيةٍ كبيرةٍ، بدأ يحكُّ رأسَهُ بحافرِهِ الأيمنِ بشدةٍ.. كانَ يفكِّرُ بالأيامِ السعيدةِ التي أمضاها في ربوعِ الأسدِ عندما وافَقَ على قرارِهِ بنتفِ ريشِ الحمامةِ، ثم فكَّرَ بأسبوعِ النقاهَةِ الذي أمضاهُ عندَهُ بعدَ ذلك، إثْرَ جراحِهِ في المعركةِ التي قامتْ بينَهُ وبينَ الدبِّ، لموافقتِهِ على قرارِ الأسدِ بخلعِ أنيابِ ومخالبِ الدبِّ.. يومَها كانت جراحُهُ عميقةً، فعالجَها لهُ الأسدُ وأمرَ مساعديه أن يقدمُّوا لَهُ أفضلَ ما عندَهم من مأكولاتٍ ومشروباتٍ ووسائلِ ترفيهٍ وتسليةٍ.. فكيفَ يخونُهُ ويتَّصِلُ بحيواناتٍ أخرى وأسدٍ آخرَ يعينُهُ ويعينُ رفاقَهُ على هذا الخنزيرِ الدخيلِ؟!

ولكنَّهُ عادَ وحكَّ رأسَهُ بحافرِهِ الأيسرِ وأخذَ يقولُ:

ـ ولكنَّ رفاقي بذلوا ما بوسعِهم لينصفَهُم الأسدُ، فلم يفعلْ، حاولوا كلَّ طريقةٍ، وفي كلِّ مرةٍ كانَ يخذلُهُم ويقفُ مع الخنزيرِ ضدَّهم.. وهم اليومَ قد أمنوني على هذِهِ المُهمَّةِ.. وهم ينتظرونني بفارغِ الصبرِ. وأنا منهم وإليهم، مصيرُنا مشتركٌ، ومستقبلُنا واحدٌ.. نرعى معاً ونشرُب معاً فكيف أخونُهم؟؟

وطالتْ حيرةُ الحمارِ.. وأصبحَ يقفُ ساعةً ويمشي ساعةً، ولكنَّهُ أخيراً أكملَ المشوارَ، وآتصَّلَ بالأصدقاءِ وبالأسدِ الآخرِ، الذي لدهشتِهِ أيَّدهُ في كلِّ مشاكِلِهِ التي طرحَها أمامَهُ. ثم عادَ إلى غابتِهِ بأسرعِ ما يكون يطمئنهم ويستعدُّ معهُم للهجومِ..

وفي ليلةٍ من الليالي وفي أثناءِ التدريبِ انفردَ الحمارُ بأحدِ ابنائِهِ وهمَسَ في أذنِهِ كلاماً لم يسمعْهُ أحدٌ وعاد إلى التدريبِ!!

اتفَقَتِ الحيواناتُ ـ الحصانُ والنسرُ والدبُ ـ على تحديدِ كلمةِ السرِّ بينهم لبدءِ الهجومِ على الخنزيرِ. . وكانت الكلمة «لوزة»، بعدَها يبدأُ العملُ الجادُّ من كلِّ الجهاتِ وفي آنٍ واحدٍ. . وقد توزَّعتِ الحيواناتُ في أطرافِ الغابةِ. وقفَ الحصانُ في ناحيةٍ، والنسرُ في ناحيةٍ، أمّا الدبُّ فلقدْ وقفَ هوَ والحمارُ في ناحيةٍ واحدةٍ معاً؛ وذلك لضعفِ الدبِّ. وأمّا الحمامةُ والديكُ والدجاجةُ فلقد توزعوا ما بينَ الجهاتِ لنَقْلِ كلمةِ السرِّ حينَ تحديدِها. .

وفي يومٍ منَ الأيامِ، وقَبْلَ طلوعِ الفجرِ، استيقظَ الديكُ ليسمَعَ جلبةً في إسطبلِ الحصانِ، رَكَضَ يستطِلعُ الخبرَ فإذا بالحصانِ يخبرُهُ أنَّ «لوزة» في البابِ!!. .

وآنطلقَ الجميعُ، وَوَصلَ الخبرُ، وابتدأَ الهجومُ. .

كان التوقيتُ رائعاً، والاستعدادُ كاملاً، آنطلقَ النسرُ ورفاقُه يلتقطون الثعابينَ من جحورِها ويرمونها من الجوِ بعد أن يشبعوها تمزيقاً ونقراً. . وآنطلق الحصانُ ومهوره يهاجمونَ كلابَ الخنزيرِ وحرسَه الخاص، فيعملون فيها رفساً ولكماً وعضاً. . وآنطلق الحمارُ والدبُّ يهدمانِ بيوتَ الخنازيرِ ومغاراتهم، ثم يلحقان بالخنازير الفارةِ الهاربةِ فيشتبكون معها، فيطبق الدبُّ بعضلاتِه القويةِ على رأسِ الخنزيرِ ويعملُ الحمارُ في رقبتِه عَضّاً وتقطيعاً.

وفيما المعركةُ قائمةٌ إذ بالدبِ يصرخُ صرخةً كبيرةً اهتزَّت لها ارجاءُ الغابةِ، لقد هجمَ عليه كلبُ اسودُ ونشبَ في مؤخرتِهِ أسنانَهُ الحادةَ، فلم يعدْ قادراً على التخلُّصِ منه أو رفسِه بحوافره، فأقعى صارخاً متألماً. .

سمعَ الحصانُ صرختَهُ، فأقبلَ عليه والتفَّ نحوَهُ ودارَ خلفَ الكلبِ ونَزَلَ بقدميهِ الأماميتَينِ على ظَهرِه، فهبَطَ الكلبُ على الأرضِ وهو لا يزالُ ناشباً أسنانَهُ في مؤخرةِ الدبِّ. . وبعدَ لحظاتٍ وكأنّها الدهرُ، إرتختْ عضلاتُ فكِّ الكلبِ وترَكَ الدبَّ. . كانت جراحُ الدبِّ عميقةً، وابتدأَ الدَّمُ يفِرُّ من جسمِهِ فلم يستطعِ النهوضَ لمعاودةِ القتالِ فتنحى جانباً بينما عادَ الحصانُ إلى موقِعِهِ. .

أمّا الحمارُ، فما إنْ رأى الدَّمَ حتى خافَ خوفاً شديداً. . خافَ أنْ يلحَقَ بِهِ كلبٌ آخرَ مِنْ كلابِ الخنزيرِ يقضي عليه أو يجرحُهُ. . خافَ على أبنائِهِ المحاربينَ، بلْ خافَ من عاقبةِ الحربِ كلِّها، ضاعَ الحماسُ الذي كانَ يملأُ صدرَهُ، ونسيَ كلَّ كلماتِ التأييدِ التي كانَ قد تفوَّه بها لرفاقِهِ واستذكر الأسدَ، فقامَ من توِّه إلى ابنِهِ، يدفعُه للقيامِ بما كانَ قد طلبَهُ منهُ من قبلُ!!

وعلى مضض ، قامَ الجحشُ «الحمارُ الصغيرُ» منِ مكانِهِ، تركَ مواقِعَ المنازلةِ، وآنسحبَ بكلِّ هدوءِ إلى خَلْفِ خطوطِ القتالِ ، كانَ وهو ينسحِبُ يتلفَّتُ يميناً ويساراً خشيةَ أن يراهُ أحد، ولمّا اطمأنَّ إلى انشغالِ الجميعِ، أطلقَ قوائِمَهُ للرِّيحِ وأخذَ يجري. . .

وصلَ الجحشُ الى عرينِ الأسدِ، وطلبَ المثولَ بين يدَيهِ في الحالِ للأهميةِ القصوى. . قالَ وهو يَلهثُ:

ـ الحربَ الحربَ يا سيِّدي . . قامتِ الحربُ . . الحصانُ والنَّسرُ مطبقانِ على الخنزيرِ، وقدْ ضيقّا عليه الخناقَ، ولم يبقَ من حُرّاسِهِ الا القليل. . أصيبَ الدبُّ إصابةً بالغةً، لكنَّ الحصانَ ومهورَهُ يسدُّون كلَّ الثغراتِ أمامَ الخنزيرِ، لم يبقَ الا القليل وتنتهي المعركةُ.

صَمتَ الأسدُ هنيهةً، ثمَّ زأرَ زئيراً عالياً ضجَّتِ الغابةُ لهولِهِ، وجَمَعَ حاشيتَهُ، ومضى إلى أرضِ المعركةِ.

أمّا الجحشُ فقد اختفى أثرُهُ، ولم يدرِ أحدٌ أينَ ذهبَ!. .

وصَلَ الأسدُ وحاشيتُهُ أرضَ المعركةِ، فرأى الأمرَ حقاً كما قالَ له الجحش، فأخذَ يزأرُ زئيراً متواصلاً، ويُشيرُ بقبضتِهِ القويةِ إلى الحصانِ والنسرِ، فوقفت جميعُ الحيواناتِ وآنسحبت إلى الوراءِ.

كانَ الدبُّ لا يزالُ ملقىً على الأرضِ ينزف، والخنزيرُ قد دميتْ اقدامُهُ وأضلاعُهُ، وأصيبتْ كلابُهُ، وآرتمى منها اثنانِ قتيلانِ وعشرةُ جرحى، ومزقت ثعابينهُ، فقتِلَ منها عشرون، بينما قُتِلَ وجُرِحَ عددٌ من أبنائِهِ..

قالَ الأسدُ:

- فليُلمْلِم كلُّ منكُم جرحاهُ وقتلاهُ، ولْتنتهِ المعركةُ على الفورِ.

انسحبَت الحيواناتُ كلُّها، وتقدَّمَ الحصانُ الى الدبِّ، فعضَّ على رقبتِهِ، ثمَّ أطبقَ بعضلاتِ صدرِهِ على رأسِهِ وأخذَ يجرُّهُ بعيداً، ليعالِجَ جراحَهُ ويوقِفَ نزْفَ دمائِهِ.

- ١٠ -

في تلكَ الليلةِ وفي الليالي التاليةِ، احتفلَ الحصانُ والنسرُ والحمارُ بالنصرِ الكبيرِ وأخذتِ الدجاجاتُ تقدِّمُ أجملَ الرقصاتِ والدبكاتِ، وآنطلقت البقراتُ تعدُّ الطعامَ والحلوياتِ للمنتصرين.. ووزَّعتِ الحمامةُ المشروباتِ على الحضورِ، وطارت العصافيرُ تُغني وتزقزقُ فرحاً بالنَّصرِ. ووزَّعتِ الميدالياتُ والأوسمَةُ على المشاركين، وكانَ الوسامُ الكبيرُ من نصيبِ الدبِّ.

وَقَفَ الدبُّ المسكينُ يجرُّ نفسَهُ جراً، كانت آلامُهُ فظيعةً، وجراحهُ عميقةً، فلقد أبلى بلاءً حسناً في القتالِ اذ كانَ متحمِّساً للحربِ بالرَّغمِ من تجريدِهِ من سلاحِهِ.

وبينما كانَ الحصانُ يمنَحُ الأوسمةَ للمحاربين، وبينما كانت الفرحةُ تعمُّ الغابةَ، وصلَتْ عشراتُ الوفودِ من الحيواناتِ الصديقةِ المجاورةِ لتهنِّئَهم بوقفتِهِم الشجاعةِ هذه.

قالَ رئيسُ وفدِ الضباع:

-لولا تدريبكُم المضني واستعداداتكم العسكرية، لما استطعتم الصمودَ أمامَهُ.

قالَ رئيسُ وفدِ التماسيح:

-لولا ايمانكم القوي بعدالةِ قضيتكم وبحتميةِ نصرِكُم لما انتصرتم عليه.

أما مندوبُ الأسدِ البعيدِ فلقدْ قالَ حديثاً أثارَ الدنيا ولم يقعدها!! قال:

- إنِّي أتعجَّبُ من أمرٍ يا أصدقائي.. لماذا لم تصِلْ المعركةُ إلى النَّصرِ التامِّ؟ لماذا انسحبتم ولمَّا تصلوا إلى هدفِكُم بعد؟! لماذا لم تستطيعوا طَردَ الخنزيرِ نهائياً من أرضِكم؟ ولماذا وقَفَ الأسدُ منكم هذا الموقف؟ بل مَنِ الذي أخبرَهُ بالمعركةِ وتوقيتِها وقد حَرِصتُم على الاستعدادِ لها سرّاً؟؟

وبينما كانَ مندوبُ الأسدِ يتحدَّثُ والجميعُ ينصتُ مفكراً، كانَ الحمارُ يتلفَّتُ يمنةً ويسرةً بينما كانت أُذناه تتحرَّكانِ للأعلى والأسفلِ بعصبيةٍ كبيرةٍ.. حتى كادَ أن يطلُبَ منهُ

السكوتَ.. ولكنَّ المندوب استطردَ كلامَهُ قائلاً:

ـ لماذا لم تستطيعوا الحفاظَ على سرِّكم. وانهاءَ الظُّلمِ بأيديكم؟. لماذا تظلُّ قوةُ الأسدِ هي المسيطرةُ على افرادِ الغابةِ؟ والأهمُّ من ذلكِ إلى متى تظلُّ الخيانةُ تجدُ طريقَها بينَ صفوفِكم؟..

كانَ كلاماً قاسياً، ولكنَّهُ كانَ الحقيقةَ المرَّة الناصعة كبياضِ الشمس. الحقيقةَ التي هزَّت أعماقَ كلِّ الحيواناتِ. وما إن انصرفَتِ الوفودُ، حتى أعلنَ الحصانُ انتهاءَ الاحتفالاتِ والبدءَ بتحقيقٍ كبيرٍ لمعرفةِ الواشي.

وقفت الحمامةُ بكلِّ حماسٍ، وكانت أوّلَ المتحدثين فقالت:

ـ أنا أعرفُ طريقةً لا تخيبُ لمعرفةِ الحقيقةِ، طريقةً سمعتُها من جدَّتي وقد كانت تقصُّها عليَّ قبلَ النومِ، قالت لي جدتي «إنَّ حصاناً وحماراً وخروفاً وبطةً زرعوا يوماً حقلَ برسيم.. وتناوبوا على حراسَتِهِ.. ولكنْ وفي احدى الليالي قام الحمارُ بأكلِ البرسيمِ كلِّهِ. وأنْكَرَ الجميعُ بما فيهم هذا الحمار، أنهم أكلوا البرسيم.. فلمّا أرادوا معرفةَ الحقيقةِ وقفوا قربَ النَّهرِ ليُقسِموا على قولِ الحقيقةِ ثمَّ يقفزوا فوقَهُ، فمن كانَ بريئاً وقالَ الصِّدقَ نجا.. ومن كانَ كاذباً سقَطَ في النَّهرِ ومات، وقد ابتدأتِ البطةُ فكاكبت وقالت:

وك وك أن كنِي أكلْتُه..

وك وك أن كني شربْتُه..

وك وك يرميني ربي..

وك وك في النهرِ العالي..

ونطَّت فوقَ النهرِ ولم تمتْ..

وجاءَ الحصانُ فصَهَلَ وقال:

هو هو ان كنِّي أكلْتُه..

هو هو ان كنِي شربْتُه..

هو هو يرمني ربي..

هو هو.. في النهرِ العالي..

ونطَّ ولم يمتْ..

وجاءَ الخروفُ نشيطاً واثقاً فماء وقال:

ماء.. ماء إن كنِي أكلْتُه..

ماء.. ماء إن كني شربْتُه..

ماء.. ماء يرمني ربي..
ماء.. ماء في النهرِ العالي..
ونطّ.. فلم يمت.

ثم جاءَ الحمارُ متثاقِلاً من كثرةِ ما أكلَ وما شرِبَ في تلكَ الليلةِ.. جاءَ خائفاً من فِعلتِهِ النكراءَ فنهَقَ وقال:

هي.. ها إن كنّي أكلْته
هي.. ها إن كني شرْبته
هي.. ها يرمني ربي..
هي.. ها في النهرِ العالي.
ونطّ.. فسقط في النّهرِ ومات..»

كانَ الجميعُ ينصِتُ للحمامةِ وهي تروي قصتّها بهدُوءٍ واستمتاعٍ، الاّ الحمار.. فقد كان يستمِعُ بعصبيةٍ زائدةٍ، يُريدُ أن يقومَ ليضربَها بحافرِهِ ضربةً مميتةً، وقد استشاط غضباً حقاً، فقامَ مهاجماً الحمامةَ قائلاً:

- وهل هذا وقتُ القصصِ والرواياتِ.. اصمتي..

وكانَ الحصانُ يتفرّسُ في وجوهِ الحيواناتِ علّهُ يتعرّفُ على الخائنِ من نظراتِهِ ولفتاتِهِ وحركاتِهِ.. وقد أحسَّ بعصبيةِ الحمار، فشكَّ في أمره إلاّ أنّهُ قال:

- لا بأسَ بطريقتِك أيتها الحمامةُ، هيا بنا نطبّقُها. فالنهرُ موجودٌ..

ولم يتمَّ حديثَهُ.. فلقد رانَ صمتٌ كبيرٌ على الجميعِ.. فالنّهرُ موجودٌ حقّاً ولكنَّ الخنزيرَ يقِفُ هو وعشيرتُهُ وكلابُهُ على الضفّةِ الغربيةِ منه..

لقد جاءَ هذا الخنزيرُ يوماً وحيداً مسكيناً، يريدُ المأوى ولو في كهفٍ صغيرٍ.. ولكنّهُ وجَدَ المكانَ أكثرَ خضرةً والماءَ أكثرَ عذوبةً، فأحضرَ العشراتِ من بني عشيرتِهِ وسلّحهم بالكلاب والثعابين، وأخذ يتفنّنُ بمضايقة الحيوانات في كلِّ ساعاتِ اللّيلِ والنهارِ..

ورغْمَ جراحِهِ وقفَ الدبُّ يقول:

- مهما كان فلا بدَّ أن نجدَ الوسيلةَ لمعرفةِ الحقيقةِ.. ووجودُ الخنزيرِ هذا لن يُعيقَنا.. سأقِفُ أنا هناكَ على ضفّةِ النهرِ التي يقِفُ عليها وأدافِعُ عنكم..

تفرّسَ الحصانُ في وجوهِ الحيواناتِ واحداً واحداً، يريدُ معرفةَ الحقيقة من عيونِهم ومن نظراتِهم.. ولاحظَ الحمارَ وقلقَهُ، ولاحَظَ ان كلَّ الحيواناتِ متحمّسةٌ لمعرفةِ الخائن.. فقد

وقفَ النسرُ وقال: ـ الموتُ للخائنِ. . الموتُ للخائنِ.

وردّدتِ الحيواناتُ وراءَه القول:

ـ الموتُ للخائنِ. . الموتُ للخائنِ.

كانَ الحمارُ متردداً بينَ أن يردِّدَ معهم الجملةَ ام لا. . ولكنَّهُ وبعدَ ثوانٍ انطلقَ يصيحُ بأعلى صوتِهِ منفرداً:

ـ الموتُ للخائنِ الموت للخائن. . !

فرددت الحيواناتُ. ما قال مرةً أُخرى. .

ولَمّا لم يستطعِ الحصانُ الوصولَ إلى اليقينِ في معرفةِ الخائنِ ذلك النهار، فقد طلبَ من كلِّ الحيواناتِ الانصرافَ الى أعمالِها بهدوءٍ، والانتباهَ لكلِّ ما يجري حولَها من أُمورٍ!!

ـ ١١ ـ

خرجَ الحمارُ لا يلوي على شيء. . كانَ كلُّ تفكيرِهِ منصبّاً على طريقةٍ لحمايةِ نفسِهِ من غضبِ الحيواناتِ فهي بلا شك ستعرفُ أنَّهُ اتَّصلَ بالأسدِ وكشَفَ سرَّهم. . كانَ خائفاً من أمرينَ: أن يفشي السرَّ ابنهُ، أو أن يفشي الأسدُ نفسُه بالسرِّ، فيخبرَ الحيواناتِ بتواطؤ الحمار معَهُ. . ولكنَّ الأمرين غيرُ جائزين!! فهو قد ربَّى ابنهُ على طاعتِهِ وعدمِ معصيتِهِ، ثم هو يفعَلُ ما يفْعلُ من أجلِ الأسدِ، ومن أجلِ مصالحِهِ، فما الذي يريدُهُ الأسدُ أكثرَ من هذِهِ

الطاعةِ العمياءِ والخدمةِ المتواصلةِ. . ثمَّ إنَّ الأسدَ قد وقَفَ معَهُ من قبلُ، فأغدَقَ عليهِ الخيراتِ وحماهُ من أنيابِ الدبِّ ومخالبِهِ، ولسوفَ يحميه من أيِّ اخطار أخرى بلا شك!!

مرَّتِ الأيامُ والشكوكُ تتزايدُ بأمرِ الحمارِ والأدلَّةُ والقرائنُ تُثبِتُ يوماً بعد يومٍ عدَمَ إخلاصِهِ لباقي الحيواناتِ. . وأحسَّ الأسدُ بنقمةِ الحيواناتِ على الحمارِ، وثورَتِها على وجوده بينهم. . وبضعفِ موقفِهِ وقربِ اكتشافِ أمرِ خيانتِهِ لَهم. . فدعى الحمارَ إليه يوماً وقالَ له:

ـ لقد ازدادت شكوكُ بني قومِكَ بكَ. . وازدادوا نقمةً عليك. . وأنا أرى أنَّ عليك أن تعترفَ لهم بما أقدمتَ عليه!!.

ذُهِلَ الحمارُ وكادَ يغْمى عليهِ. . ثمَّ تماسَكَ وقال:

ـ ألم أفعلْ كلَّ ما فعلتُ لأجلِكَ؟. . ألمْ أضحي دوْماً من أجلِ مصالِحِك؟ ألم أقف دوماً مع قراراتِكَ ورغباتِك أدافِعُ عنها وأطبِّقُها بالرَّغمِ من آراءِ كلِّ الحيواناتِ الأخرى؟. . ماذا تُريد مني بعد؟؟ لماذا تريدُني أن اعترِفَ لهم؟ سيقتلونَني، سيشنقونني. . سيَضعون الحبلَ حولَ رقبتي. . لقد أعدُّوا المشنقةَ للخائنِ. . نعم نصبوَها في الساحةِ الكبرى. . فهل أسلِّم لهم رقبتي، لماذا؟ لماذا. . ؟

قالَ الأسدُ بهدوءٍ:

ـ لقد انتهى دورُكَ الآن. . انكشفت خيانَتُك. . جميعُ رفاقِكَ يريدونَ الانتقام منك. . لم تعدْ نافعاً لي ولا لَهم. اذهب واعترف.

قالَ الحمارُ:

ـ وأنتَ. . أنتَ يا سيِّدي من سيقِفُ معَكَ عند الحيواناتِ؟ مَنْ سيدافِعُ عن مصالِحك ومصالحِ الخنزيرِ إنَّهُ سيصبحُ في خطرٍ حقيقيٍ. . ألم تَرَ ماذا فعلوا به؟؟

سيجهِزون عليهِ جميعاً. . أبقِ عليَّ. . إحفظْ حياتي. .

قالَ الأسدُ بهدوءٍ غريب. .

ـ لا تخفْ على مصالحي أو مصالحِ الخنزيرِ. . فقد أجدُ من يأخذُ دورَكَ بينَ الحيوانات ويكون أكثر ذكاءً أمضِ. . أمضِ الآن. . أمضِ. .

مشى الحمارُ مطاطىء الرأسِ، لا يكادُ يفهَمُ ما يدورُ حولَهُ. . وصَلَ إلى الساحة واعترف. . وهناكَ في الساحةِ الكُبرى كانتِ المشنقةُ بانتظارِهِ.

تمـــت

"صراع في الغابة" اسلوبُ قديمُ متجدد في طرح ومعالجة القضايا السياسية..

"صراع في الغابة" قصة للاطفال والكبار من سن ٨ ـ ٨٨ سنة.. قصة توضح كيف يمكن للدخيل أن يتسلل الى الوطن في غياب الوعي.. وتؤكد ان في الاتحاد الاتحاد قوة، وأن في التفرقة ضعف.. وأن قتال الأخوة ظلم.. قصة تبيّن ان مبدأ نزع سلاح الشعب مصيدة، وأن تعزيز القدرة الذاتية هو السبيل إلى النصر.. وأن الركون والالتجاء الى القوى الخارجية يؤدي الى الهزيمة والخذلان.

"صراع في الغابة" عبرٌ ونتائج عميت علينا أو تعامينا عنها.. فانتهزها الخونة وضعاف النفوس، .. راهنوا على أوراق الحل، باعوا قضيتهم الى الاجنبي، وتمكن منهم العدو، فما خسروا الا أنفسهم.

أما الشعب فلا بدّ وأن يجد طريق النصر وان تعثرت الخطى.

الناشر..

يطلب هذا الكتاب من

دار كندة للنشر والتوزيع

عمان ـ الأردن . ص ب ٤٥ تلاع العلي هاتف ٨٤١٨٨٦ ـ تلكس ٢٣٨٤٩

ومن المؤلفة:

ص.ب ٤٤٦ عمان . هاتف ٨١٩٢٨٢

رقم الاجازة المتسلسل ١٩٨٦/٦/١٩١

رقم الايداع لدى مديرية المكتبات والوثائق الوطنية ١٩٨٦/٦/٢٣٢

الناشر دار كنده للنشر والتوزيع

دقق النص: افتخار الفرخ بدران

مطابع دار الشعب ـ عمان

اقرأ واستمتع: كتب صدرت للمؤلفة

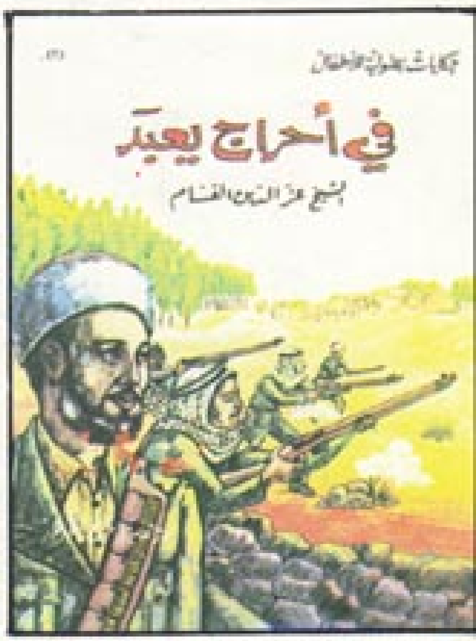

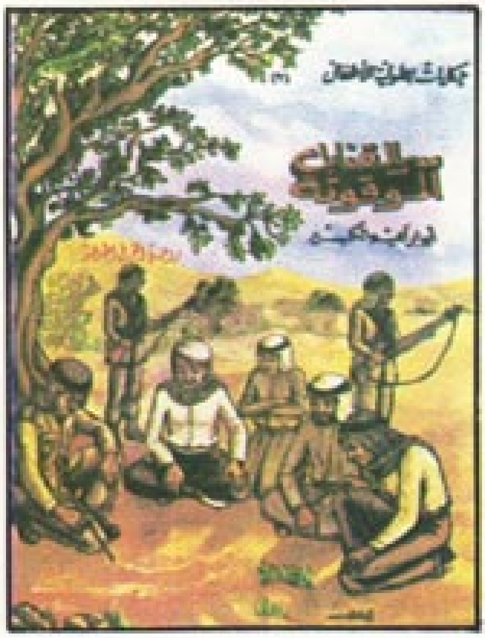

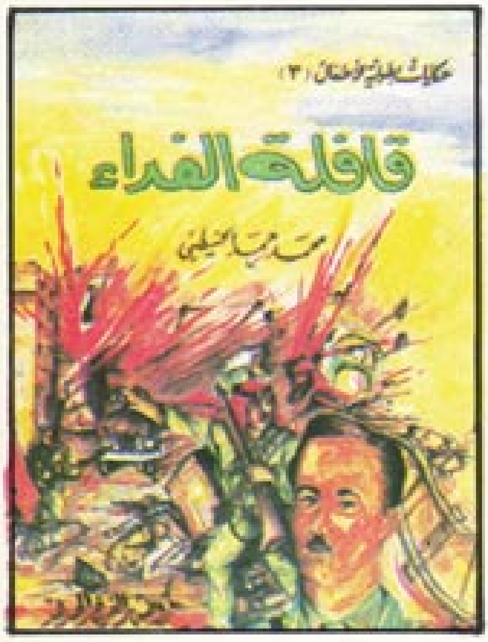

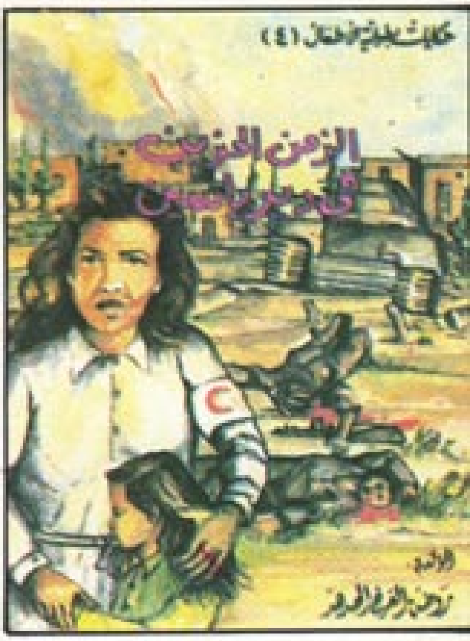

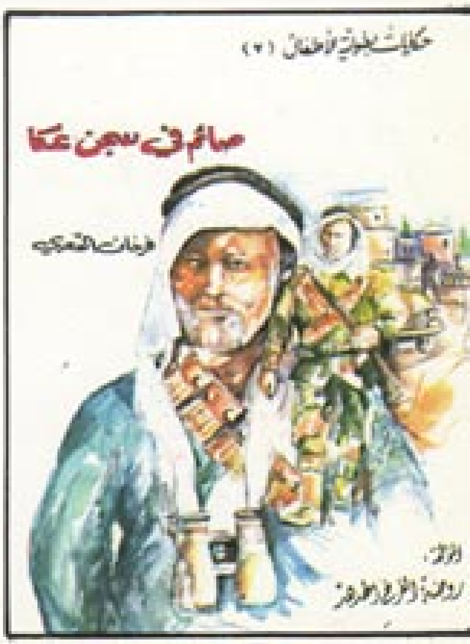

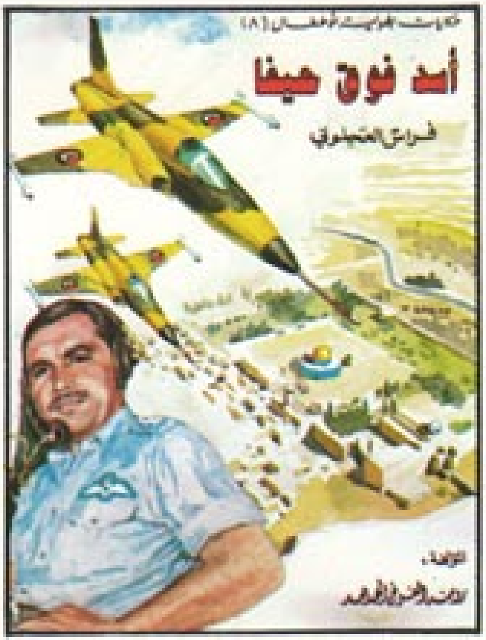

كما صدر للمؤلفة:
من حكايات بطولية للأطفال:

كفر قاسم والمحاكمة العادلة.
لغز الاطفال والبندقية
في مخيم الدهيشة

من حكايات الغول:

١- ليلى والكنز
٢- هل يكفي الحظ؟
٣- مغامرات ريان